سوسيولوجيا التنظيمات: مفاهيم ومقاربات

د. عبد السلام بيان

باحث في علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة ابن طفيل-القنيطرة-المغرب

ملخص: شكل ظهور سوسيولوجيا التنظيمات قفزة كبيرة في ميدان علم الاجتماع، حيث إن هذا التخصص الجديد اهتم بمختلف أنواع وأشكال التنظيمات، ولهذا أصبحنا أمام مفاهيم جديدة ونظريات متعددة ومرتبطة بهذا التخصص، والتي استطاعت تجاوز العديد من هفوات النظريات السابقة. وسنقتصر في هذه الورقة العلمية على مفهوم التنظيم والإسهامات النظرية لماكس فيبر ومشيل كروزي في مجال سوسيولوجيا التنظيمات..

الكلمات المفتاحية: التنظيم، البيروقراطية، التحليل الاستراتيجي.

Sociology of Organisations: Concepts and approaches

Dr.Abdeslem Bayane

University Of Ibn Toufail-Kenitra-Morocco

Abstract: The appearance of the sociology of organisations was a big step in the field of sociology, this type of sociology is interested in any kind of organisation. This gave rise to several notions and theories. In this paper we will study the determination of the notion of organization and the theoretical contributions of Max Weber and Michel Crozier in the sociology of organisations.

Keywords: Organisation, bureaucracy, strategic analysis.

تقديم

يرى أغلب الباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية أن مفهوم التنظيم مفهوم حديث، لكن فكرة التنظيم فكرة قديمة جدا؛ لأن جميع الحضارات والمجتمعات البشرية كانت تمارس هذا الفعل في مختلف أمورها وأنشطتها، والاختلاف يكمن فقط في تسمية هذه التنظيمات : كالتجمعات المهنية والجيوش الحربية والقوافل التجارية والأسواق والزوايا أو الطوائف الدينية...الخ.

واهتمت مختلف التخصصات العلمية - كعلم اللغة والاقتصاد والاجتماع والقانون...- بهذا المفهوم منذ زمان بعيد، إلا أن اهتمام السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا جاء متأخرا كثيرا. ورغم كثرة الأبحاث والدراسات التي تناولت التنظيم من منظور سوسيولوجي، فإن أهمية هذا الموضوع تستدعي مزيدا من البحث والدراسة. وتأتي هذه الورقة العلمية للبحث في أهم النظريات السوسيولوجية التي عالجت مفهوم التنظيم، وذلك بالانطلاق من التحديد المفاهيمي، ثم الوقوف على بعض النظريات التي قدمت مساهمات كبيرة في هذا الجانب.

إشكالية البحث

تتجلى إشكالية هذا البحث في صعوبة تحديد مفهوم التنظيم، نظرا لطابعه الإشكالي ولتنوع التعريفات التي أعطيت له، بالإضافة إلى الإشكال المرتبط بتنوع النظريات المتعلقة بالتنظيم عامة وبسوسيولوجيا التنظيمات خاصة.

أهداف البحث وأهميته

تهدف هذه الورقة إلى مناقشة بعض تعاريف التنظيم ومحاولة الخروج بتعريف جامع، والمقارنة أيضا بين إسهامات كل من ماكس فيبر وميشيل كروزي في مجال سوسيولوجيا التنظيمات. أما بخصوص أهمية هذه الورقة فتتمثل في إعادة قراءة ومناقشة مفاهيم ونظريات سوسيولوجيا التنظيمات، والتعريف بها لدى الباحثين والمهتمين بهذا الموضوع.

منهج الدراسة

هذه الورقة تعتمد على التحليل والمقارنة النظرية، سواء أثناء التحديد المفاهيمي لكل من التنظيم والمفاهيم المجاورة له، أو أثناء عرض بعض النظريات السوسيولوجية والمقارنة بينها.

أولا: التنظيم كمفهوم سوسيولوجي

جاء في لسان العرب أن "التنظيم من الفعل نَظَّمَ يُنَظِّمُ تَنْظِيماً أي بمعنى التأليف، ويقال نَظَمْتُ اللؤلؤ، أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله، ومنه نظَمت الشعر ونظَّمته، والنظم: هو المنظوم، وصف بالمصدر وهو ما نظمته من لؤلؤ وحرز وغيرهما. أما النظام فهو ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره، وكل شعبة منه وأصل نظام"(ابن منظور، ص578). أما عند الفيروزبادي، فلم نعثر على أية إشارة لمفهوم التنظيم، لكنه في المقابل، أشار إلى النَّظْم لذي يدل على "التأليف، وضَمُّ شيء إلى شيء آخر"(الفيروزبادي، 2008، ص1624).

ومن هذا كله يتضح أن التنظيم لغويا هو الجمع والتأليف بين عدة أمور أو أشياء أو عناصر على نحو ما. ويقصد بالتنظيم على العموم، نوعا من التوليف لعدد من الموارد المختلفة، لجعله أداة أو آلة في خدمة إرادة ما تروم تحقيق مشروع محدد(Raymond Boudon, 1982, p398).

ومن الناحية السوسيولوجية فإن الاهتمام بهذا المفهوم جاء مع ميلاد سوسيولوجيا التنظيمات خلال الستينيات من القرن الماضي، رغم أن هناك إشارات إلى هذا المفهوم في أبحاث ودراسات المؤسسين الأوائل لعلم الاجتماع، أمثال أجست كونت ودوركايم وكارل ماركس ... وتختلف مسميات التنظيم، فيراد به أيضا "المنظمة" أو"المؤسسة" أو "التنظيم الاجتماعي"... ويبين هذا التنوع في المصطلحات الصعوبة التي تكتسيها عملية تحديد هذا المفهوم.

وتتميز العصور الحديثة بالطابع التنظيمي إلى درجة أننا لا نستطيع أن نستغني عنه في جميع أنشطتنا الحياتية. وأشار "أميتاي إتزيوني"(Amitai Etzioni) في كتابه "التنظيمات الحديثة" أننا أصبحنا نتعامل مع التنظيمات في جميع مراحل حياتنا، فهي موطن ولادتنا، وهي مكان تعلمنا، وهي مكان عملنا(Amitai Etzioni, 1968, p48) . وهذا يدل على كثرة وتنوع التنظيمات في العصر الحديث، وكونها عصب الحياة.

وإذا كان ماكس فيبر أول من وضع نظرية للتنظيم، فإنه قابل التنظيم بمفهوم البيروقراطية، كما أن التنظيم عنده يرادف مفهوم البيروقراطية الذي يرتبط بالعقلانية كخاصية أساسية للمجتمعات الحديثة. ومن بين التعريفات التي صاغها ماكس فيبر للتنظيم نذكر التعريف الآتي:" إن العلاقة الاجتماعية المغلقة أو التي تحد من قبول الأجانب تسمى تنظيما، عندما يسهر أشخاص محددون على حسن تطبيق قوانين التنظيم: رئيس، ـوموظف إداري له سلطات تمثيلية" (Max Weber, 1987, p48)، فالتنظيم الذي أشار إليه ماكس فيبر عبارة عن علاقة اجتماعية بين فاعلين، وهو فضاء ونسق مغلق لا يقبل أعضاء خارج التنظيم، ويوجد على رأسه قائد له سلطة على الآخرين، هذه السلطة هي المصدر الذي يستمد منه مشروعيته وهيمنته على الآخرين.

وعكس ذلك فإن التنظيم الاجتماعي حسب زنانكي يدل على التنظيم الذي يتخذه مجموعة من الفاعلين بغرض تحقيق هدف معين؛ وكل تنظيم فهو تنظيم اجتماعي، لأنه مجال للتفاعل والتعاون بين الفاعلين الذين يقومون بأفعال وأنشطة مختلفة أو متشابهة، مستمرة أو دورية وفي مدة زمنية غير قصيرة ولا محددة (Florian Znienki,1945, p200-201). وهكذا حدد زنانكي إحدى أهم خاصيات التنظيمات الاجتماعية المتمثلة في: وجود أهداف وغايات يسعى الفاعلون إلى تحقيقها، وكون التنظيم اجتماعيا، والتعاون بين الفاعلين، ثم خاصية الاستمرارية. وهو تعريف دقيق وشامل يتجاوز التعاريف التي قدمها رواد سوسيولوجيا التنظيمات(Bruno Milly, 2012, p26).

وبالنسبة لمنظري سوسيولوجيا التنظيمات فإننا سنركز على الاتجاه البنائي الوظيفي مع كل من بارسونز وروبرت ميرتون. فالتنظيم عند بارسونز عبارة عن "وحدات اجتماعية تقاوم وفقا لنموذج بنائي معين لكي تحقق أهدافا معينة" (Talcot) Parsons, 1960, p17. ولا يختلف تعريف تالكوت بارسونز عن التعريفات التي أشرنا إليها أعلاه، إلا في مسألة اعتباره التنظيم نسقا اجتماعيا يقوم على مجموعة من العلاقات، وهذا النسق العام يمكن أن يحتوي أنساقا فرعية، كما أن عناصر هذا النسق(التنظيم) محددة وثابتة، وتعمل دائما لتلبية رغبات الفاعلين وضمان استمرارية التنظيم؛ وفي نفس الاتجاه الذي يجعل من التنظيم أداة لتحقيق الأهداف المشتركة لجماعة ما وفق مقاربة وظيفية تروم إشباع حاجيات أعضاء التنظيم ومحيطه؛ لأن التنظيم

الاجتماعي عبارة عن" وحدات اجتماعية يتم توجيهها نحو تحقيق أهداف جمعية، أو إشباع حاجات نظامية لأعضاء المجتمع أو البيئة"(Michael I.Reed,1992, p75).

لكننا نرى أن التعريف الذي أتى به ميشل كروزي(Michel Crozier) ساهم في الكشف عن جوانب جديدة في التنظيمات الاجتماعية، فقد أصبح التنظيم الاجتماعي بناء اجتماعيا وإنسانيا، ومجالا للصراع والسلطة والاستراتيجيات والاستراتيجيات المضادة، التي تهدف إلى السيطرة على التنظيم، عكس بعض التعريفات التي اعتبرته معطى طبيعيا. إذن فالتنظيم هو البناء الإنساني الذي يجب دراسته وتحليله، كما أن هذا البناء الإنساني يعمل على تلبية عدة وظائف اجتماعية (Michel Crozier, Erhard Friedberg, 1977, p15-23). وبذلك فإن التنظيم عند مشيل كروزي هو "مجموعة معقدة من الألعاب المتقاطعة والمترابطة فيما بينها، والتي من خلالها يعمل الأفراد الذين يمتلكون مهارات (atouts) متباينة في الغالب، ويبحثون عن حلول للحصول على أكبر قدر من الأرباح دون الإخلال بقواعد اللعب غير المكتوبة، والتي تفرض عليهم من الوسط، مستغلين في ذلك جميع الامتيازات، ويعملون أيضا على الحد من امتيازات الآخرين Michel). Crozier, 1963, p8) في هذا التعريف يبين لنا كروزي أن التنظيم مجال للصراع، على عكس ما ذهب إليه أصحاب التحليل النسقي الذين يرون أن التوازن من سمات التنظيمات، ويضيف أيضا أن القواعد التي تتحكم في أي تنظيم ليست بالضرورة مكتوبة، وهذا يدل على أن كروزي وسع مجال التنظيمات لتشمل الجمعيات، والتنظيمات الرخوة كالكنائس والدير والزوايا والجمعيات..، فهو لا يقتصر إذن على التنظيمات البيروقراطية التي تتوفر على هرمية في السلطة وتقسيم دقيق للعمل. ونحن نتفق مع هذا الطرح، لأن التنظيم والفعل المنظم غير مرتبطين بقواعد مكتوبة ومحددة، فبعض المجتمعات القديمة عرفت أشكالا من التنظيمات المتطورة، لكن من دون أن تكون لها قواعد وضوابط مكتوبة، خاصة المجتمعات التي تعتمد الشفاهية أكثر من الكتابة.

إضافة إلى ما سبق، فقد تم تعريف التنظيم في السوسيولوجيا انطلاقا من الخصائص التي يتميز بها، **فأنتوني غدنز** يرى أن التنظيم أو المنظمة عبارة عن "تجمع كبير من الناس يتهيكل ويقوم على أسس غير شخصية، ينشط لتحقيق أغراض وأهداف محددة".(أنتوني غيدنز، 2005، ص407)، وبالتالي فمن خصائص أي تنظيم وجود مجموعة من الأفراد يرغبون في تحقيق أهداف مشتركة ومحددة؛ ويضيف صاحبا المعجم النقدي لعلم الاجتماع خاصيتي التعاون والتراتبية لكي نتحدث عن التنظيم، والذي يميزه عن التجمع الذي يندثر مع انقضاء سبب وجوده (ريمون بودون وفرنسوا بوريكور، 1986، ص199). وينحو إدغار تشاين Edgar Schein منحى ماكس فيبر باستعمال مفهوم العقلانية في تحديد مفهوم التنظيم، لكنه يضيف أهمية التنسيق والتوليف وتوفر الأهداف المراد تحقيقها. ويعرف التنظيم بكونه :"ذلك التنسيق العقلاني للأنشطة، الذي يقصده عدد من الأفراد بغية تحقيق مجموعة من الأهداف والغايات الضمنية والمشتركة بينهم(Edgar Schein, 1971, p78). وإلى جانب كل هذا فإن أي تنظيم لابد له من تقسيم للمهام والأعمال لتجنب الفوضى وتداخل المهام، وهي أهم خاصيات المجتمعات الحديثة. وهكذا فإن هنري منتزبارغ Henri Mintzberg يعتبر التنظيم "بمثابة المجموع العام لأشكال تقاسم

العمل ما بين مجموعة من العناصر، وتنسيق نتائج المهام المتقاسمة" (Hinri Mintzberg, 1982, p102).

وتصب التعريفات الحديثة للتنظيم في نفس منحى ما جاءت به التعريفات الكلاسيكية، خاصة عند رواد سوسيولوجيا التنظيمات، ونقدم مثال جيل هيرو الذي يرى أن: "التنظيم يمكن أن يفهم كفضاء يتعاون فيه الأفراد والجماعات في تناغم مع القواعد والأدوات التقنية" (Gilles HERROS, 2008, p270). إذا فخاصية التعاون ضرورية في أي تنظيم، والتعاون يكون من أجل تحقيق أهداف وغايات مشتركة وفق قوانين وقواعد محددة وباستعمال الموارد والوسائل الضرورية.

بينما يرى غي روشي Guy Rocher أن التنظيم في علم الاجتماع يستعمل تحديدا للدلالة على مجموعة من الترتيبات الرسمية للأدوار ذات طابع بيروقراطي ولها وظائف محددة (Guy Rocher, 1968, p13)، أما التنظيم الاجتماعي فهو مختلف عن مفهوم التنظيم، لكونه "الترتيب الشامل لجميع العناصر التي تروم إلى بَنْيَنَة (structuration) الفعل الاجتماعي في شكل كل يمثل صورة وشكلا خاصا مختلفا عن مكوناته وعن الترتيبات الأخرى الممكنة"" (Guy Rocher, 1968, p13). وهذا ما جاء في معجم العلوم الاجتماعية، حيث عرفه روبرت فارسRobert Faris بكونه "مجموعة مستقرة نسبيا من العلاقات المتبادلة الوظيفية بين العناصر المكونة (أفراد ومجموعات)، تنتج عنها خصائص غير موجودة في هذه العناصر، مما يؤدي إلى إفراز كيان فريد""(Robert farisأورده,Guy Rocher 1988,p16)

نستنتج مما سبق أن التنظيم يتكون عموما من مجموعة من الأفراد داخل فضاء ما، يتعاونون من أجل تحقيق أهداف مشتركة، لكن يمكن أن تنشأ بين أعضاء التنظيم صراعات من أجل امتلاك السلطة نتيجة استعمالهم لمجموعة من الاستراتيجيات. والتنظيم ليس فضاء ساكنا، فكل تنظيم به دينامية داخلية ويتأثر بالمحيط الخارجي. كما أن مفهوم التنظيم لا ينطبق فقط على التنظيمات البيروقراطية، فقد يشمل المجالات الرخوة كالجمعيات والتعاونيات، وكذا التنظيمات التي كانت تدبر شؤون المجتمعات التقليدية.

ثانيا): سوسيولوجيا التنظيمات بين ماكس فيبر ومشيل كروزيي

على الرغم من كون سوسيولوجيا التنظيمات حديثة الظهور والنشأة، إلا أن النظريات السوسيولوجية التي تطرقت للتنظيم من منظور سوسيولوجي كثيرة، حيث يقسم أغلب الباحثين هذه النظريات إلى نظريات كلاسيكية ونظريات حديثة، وتنقسم كذلك هذه النظريات حسب الاتجاهات النظرية، إلى نظريات وظيفية ونظريات الفعل الاجتماعي ونظريات الصراع... كما أن هناك مدارس فرنسية وألمانية وأمريكية...

وتجدر الإشارة إلى أن أول ظهور لسوسيولوجيا التنظيمات كان مع هنري فايول، ثم جاء بعده تايلور، وبعده التون مايو صاحب مدرسة العلاقات الإنسانية، لكن ما يهمنا في هذا المقال هي اسهامات كل من ماكس فيبر ومشيل كروزي.

1.ماكس فيبر والنموذج المثالي للتنظيم

يعتبر ماكس فيبر من بين علماء الاجتماع الأوائل الذين اهتموا بموضوع التنظيمات، وهو صاحب نموذج التنظيم البيروقراطي الذي مازال مؤثرا في كثير من الدراسات والأبحاث حول التنظيمات، خصوصا أنه وضع نماذج مثالية للتنظيمات، هذه النماذج غير موجودة على مستوى الواقع، لكنها أدوات تحليلية تساعد الباحث على معرفة طبيعة وخصائص التنظيمات التي يدرسها.

فكيف قارب ماكس فيبر موضوع التنظيمات؟

يصنف ماكس فيبر ضمن التيارات الكلاسيكية في سوسيولوجيا التنظيمات (يوسف صديق، 2017، ص35)، ونرى أن نماذجه حول التنظيم مهمة في مقاربة موضوع التنظيمات، لأنها نماذج مثالية كفيلة بمعرفة مدى قربها أو بعدها من التنظيمات التي توجد في الواقع الاجتماعي.

وركز ماكس فيبر في نظريته حول النموذج المثالي للتنظيم البيروقراطي- الذي يعتبر من سمات التنظيمات الحديثة في المجتمعات الحديثة- على مفاهيم أساسية مثل: المشروعية والهيمنة والبيروقراطية والسلطة... بالإضافة إلى الفعل الاجتماعي كأساس لدراسة أنماط السلوكات والعلاقات الاجتماعية داخل المجتمع وداخل أي تنظيم.

وهناك اختلاف كبير حول أصل وأول استعمال لمفهوم البيروقراطية(جمال فزة، 2013، يوسف صديق، 2017)، وعموما فقد استعمله ماكس فيبر كمفهوم محوري في النموذج المثالي للتنظيم البيروقراطي لتبيان مشروعية أشكال الهيمنة و"السلطة" داخل التنظيم الاجتماعي، حيث يتحدد النموذج المثالي للتنظيم البيروقراطي من خلال مجموعة من الخصائص والسمات، ليست بالضرورة موجودة كلها في كل تنظيم، "ولا تشير صفة "المثال" هنا إلى سمات مرغوبة، بل إلى ملامح الشكل الخالص للمنظمة البيروقراطية التي قد يتحقق كلها أو بعضها في الحياة العملية الواقعية(أنتوني غدنيز،2005، ص 410). وقد حدد ماكس فيبر خصائصه في:

1. توزيع السلطة في تراتبية ومراتب واضحة.
2. تحكم القواعد والأنظمة المكتوبة سلوك موظفي المنظمة على جميع المستويات.
3. يعمل الموظفون في البيروقراطية بدوام كامل ويتقاضون أجرا عن عملهم.
4. هناك فصل بين مهمات المسؤول داخل المنظمة وحياته وخارجها.
5. إن أعضاء المنظمة لا يمتلكون الموارد المادية التي يؤدون عملهم من خلالها (أنتوني غدنيز،2005، ص 410).

وحدد ماكس فيبر في كتابه (الاقتصاد والمجتمع) ثلاثة أنواع من الهيمنة، تقابل كل واحدة منها نوعا من السلطة المشروعة. هذه النماذج الثلاثة من الهيمنة هي: الهيمنة العقلانية التي تستمد مشروعيتها من القوانين الوضعية والسلطة المتعارف عليها لدى الجميع، وتمثل مرحلة من النضج العقلي الذي يعمل على إبداع هذه الأشكال من السلطة؛ والهيمنة التقليدية، وتمثل مرحلة السلطة المبنية على الأعراف والتقاليد التي كان يحتكم إليها الناس قبل ظهور الفكر الوضعي العقلاني؛ والهيمنة الكاريزمية التي تستمد مشروعيتها من السلطة، التي تصدر عن أشخاص لهم قوى وصفات خارقة تمكنهم من فرض هيمنة روحية على الأفراد أو الجماعات. ويضيف ماكس فيبر بأن هذه النماذج الخالصة ليست إلا نماذج مبسطة باعتبارها أدوات تحليلية تساعد على فهم

التنظيمات الاجتماعية، لكن في الواقع العملي تظهر هذه النماذج متداخلة (Raymond Aron, 1967, p566-558).

غير أن ماكس فيبر مع ذلك اهتم بالعلاقات الرسمية وأهمل العلاقات غير الرسمية داخل التنظيم، وتميز أيضا بمغالاته في البيروقراطية. كما أنه لم يعط حرية للفاعل وللتغير داخل التنظيم ولعلاقة التنظيم مع محيطه. وهو ما سيجعل استحضارنا لمشيل كروزي في دراسة التنظيمات ضرورة، لأنه أعطى أهمية للتفاعلات داخل التنظيمات وللاستراتيجيات التي يسلكها الفاعلون والتي تمكنهم من حرية نسبية؛ زيادة على التأثير الذي يمكن أن يمارسه المحيط على التنظيم، لأن التنظيم بناء اجتماعي وليس معطى طبيعيا.

2.التحليل الاستراتيجي للتنظيمات

وهي من بين النظريات التي أحدثت ثورة في سوسيولوجيا التنظيمات بإعطائها أهمية للفعل الاجتماعي وللعلاقات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية داخل أي تنظيم ولدور المحيط والبيئة وخبرة الفاعلين في تحليل التنظيمات الاجتماعية. وهي نظرية ذات خلفية وظيفية، لأنها تهتم بالكيفية التي تعمل بها التنظيمات وبالاختلالات التي قد تطال أي تنظيم، وبالعلاقات بين جميع الفئات وباستراتيجيات الفاعلين وبأشكال السلطة وبمظاهر التعاون أو الصراع داخل أي تنظيم(Pierre Ansart, 1990, p64-65).

ومن أجل ذلك أبدع كروزي التحليل الاستراتيجي كمنهج يروم فهم منطق اشتغال التنظيم ويحدد طبيعة علاقاته الداخلية يورصد الاختلالات التي تحدث داخل التنظيمات، بغية فهم المشكلات التي تعاني منها المجتمعات الحديثة، كمشاكل الاندماج داخل التنظيمات والمؤسسات، أو مشاكل التكيف مع التنظيمات الحديثة. وهذا عكس المقاربات التي تهتم بالبنية وبالنسق الاجتماعي، غير أن كروزي لا ينفي تأثير المحيط على التنظيم.

ويرتكز التحليل الاستراتيجي على عدة مفاهيم مترابطة فيما بينها، أهمها: نسق الفعل الملموس ومناطق الخصاص أو اللايقين أو الارتياب والاستراتيجية والسلطة، والفاعلون...

وعلى عكس النظريات الكلاسيكية في سوسيولوجيا التنظيمات التي اهتمت بالجوانب العقلانية للسلوك التي يقوم بها الفاعل الاجتماعي، فإن التحليل الاستراتيجي ينحو منحى مخالفا، وذلك بدراسته للسلوكات غير العقلانية ولمختلف معانيها ودلالاتها، لأن السلوك الإنساني حسب ميشل كروزي ليس نتاجا لما هو عقلاني فقط، بل إنه يتضمن معان غير عقلانية.

وتعتبر التنظيمات حلولا لمشاكل الأفعال الجماعية التي تستدعي التعاون المشترك لتحقيق الأهداف والغايات المشتركة، فنظرية ميشل كروزي وهيرار فريد بيرغ تنطلق من التنظيم لتهتم بالفعل المنظم، فالفاعلون داخل أي تنظيم يسلكون مجموعة من الاستراتيجيات من أجل الحفاظ على أهدافهم بالسيطرة على مناطق اللايقين، بفضل ما يحوزونه من سلطان. ويشبه مشيل كروزي التنظيم "بلعبة" (un jeux) يؤدي فيها الفاعلون مجموعة من الأدوار من خلال هامش الحرية الذي يوجد لديهم، عكس ما ذهب إليه أصحاب العقلانية البيروقراطية الذين لم يتركوا أي هامش للفاعل داخل التنظيم ولا يرون فيه سوى منفذ للقرارات والأوامر التي تصدر ممن هم أعلى منه رتبة وسلطة.

ومن منظور التحليل الاستراتيجي فالسلطة هي" قدرة مجموعة من الأفراد أو الجماعات البشرية على التأثير على أفراد أو جماعات بشرية" (Michel Crozier, Erhard Friedberg,1977, p65). ويتضح أن السلطة عبارة عن علاقة بين طرفين، وحيثما توجد علاقات فهناك سلطة. وبما أن التنظيمات الاجتماعية تضم أشكالا متعددة من العلاقات بين الفاعلين، فإنها تحتوي على أشكال مختلفة للسلطة.

وقد ميز مشيل كروزي وهيرار فريد بيرغ بين أربعة مصادر أساسية كبرى لها داخل أي تنظيم اجتماعي، تقابلها مجموعة من مناطق اللايقين التي يمكن للفاعلين الاجتماعيين داخل التنظيم السيطرة عليها، وأولها مرتبط بتملك مهارات وكفاءات عملية مهمة، وثانيها تتعلق بعلاقات التنظيم مع الوسط الذي يوجد به أو مع محيطه الخارجي*؛ وثالثها يهم مسألة تملك معلومات لها علاقة بالتنظيم وقدرات تواصلية جيدة تنضاف إلى الكفاءات والقدرات التي يتوفر عليها الفاعل، وهي ضرورية أثناء التفاوض حول مناطق الخصاص؛ ورابعها يخص القواعد العامة للتنظيم، والتي بقدر ما يعرفها الفاعل الاجتماعي بقدر ما تكون له سلطة داخل التنظيم. ويستدرك ميشل كروزي وهيرار فريدبيرغ بخصوص مصادر السلطة ومناطق الارتياب التي حددها، بأنها لا تعدو أن تكون سوى ضرورة منهجية ومن أجل التحليل، لأن هذه الأصناف تتداخل فيما بينها، أي لا توجد تصنيفات محددة وثابتة(Michel Crozier, Erhard Friedberg,1977, p82).

ولدراسة الفعل الجماعي المنظم الذي هو تجسيد للتنظيمات الاجتماعية، اقترح أصحاب التحليل الاستراتيجي ما يسمى بنسق الفعل الملموس، حيث إن النسق الاجتماعي "معطى طبيعي" غير ملموس على مستوى الواقع، لكن يمكن التنبؤ به (Michel Crozier, Erhard Friedberg, 1977, p282)، في حين أن نسق الفعل الملموس هو: " كلٌّ إنساني مُبَنين، يقوم بالتنسيق بين المشاركين فيه من خلال ميكانزيمات وألعاب ثابتة نسبيا، والتي تهدف إلى الحفاظ على بنية النسق، أي الحفاظ على استقرار الألعاب وعلى العلاقات بين مكونات النسق"(Michel Crozier, Erhard Friedberg, 1977, p286)، وهو بمثابة أداة تحليلية لأي تنظيم اجتماعي؛ علما أنهما قالا بأن منهجهما لا يقتصر فقط على "التنظيمات الإدارية والصناعية المغلقة" والتي تتبع قواعد عمل صارمة، إذ يمكن أن يطبق على عدد كبير من التنظيمات والأنساق التي لا تتبع درجة عالية من البيروقراطية..، لأن مستوى التحليل يتعلق بالفعل الإنساني المنظم الذي أبدعه الإنسان، وليس التنظيم نفسه، ويمكن أن يشمل أيضا " مشاكل التغير" وما يرتبط بها من ضرورة استحضار التاريخ(Michel Crozier, Erhard Friedberg, 1977, p10). وبما أن مشيل كروزي وهيرار فريد بيرغ يستهدفان أساسا في تحليلهما الاستراتيجي الفعل الجماعي المنظم، الذي هو خاصية أي جماعة بشرية، سواء كانت بالمجتمعات المسماة "تقليدية" أو بالمجتمعات الحديثة، فقد خلصا إلى كون الجماعة الأولية أو الجماعة (communauté) ينظر إليهما ككليات طبيعية، وذلك راجع إلى المنهج التحليلي الذي يتبعه الباحث رغبة منه في البحث عن قوانين شاملة وثابتة، خصوصا عندما يتعلق الأمر بمدة زمنية قصيرة.

*أي الكيفية التي يستغل بها الفاعل الاجتماعي علاقاته مع المحيط للتأثير على التنظيم، من خلال السيطرة على مناطق الخصاص أو الارتياب.

وهكذا فقد تبنى ميشل كروزي وهيرار فريد بيرغ نوعا من الاستدلال يضع المسلمات والقوانين والظواهر التي ينظر إليها كأنها "طبيعية" محل تساؤل، حتى لو تعلق الأمر بالجماعة الأولية، لأنه ليس من الطبيعي أن يجتمع أعضاؤها؛ أي هناك مشاكل مرتبطة بالتعاون وبالتنظيم والفعل المنظم ولو في أشكاله البسيطة. وبالتالي لابد من البحث عن سبب هذا الاجتماع (Michel Crozier, Erhard Friedberg, 1977, p278-279)، وهذا ما جعلهما يقولان أن:"...تنوع المجموعات البشرية والتي تظهر كمجموعة من العلاقات المبنينة دليل على نسبية القوانين، التي ينظر إليها كأنها مطلقة. (Michel Crozier, Erhard Friedberg, 1977, p289).

ويضيفان أن أي تجمع مهما كان يقوم نسق فعل ملموس، حتى القرية أو بادية فإنها تضم نسق فعل ملموس يعمل على تنظيم حياة الناس، ويتوفر على خصائص التنظيم، وهو ما يتجلى في المجلس البلدي الذي يسير تلك القرية، والمثال الآخر يتعلق بالجمعيات التي تضم مجلس تنظيم يسهر على تدبير شؤونها، وهو شكل من أشكال النسق الملموس(Michel Crozier, Erhard Friedberg, 1977 p280.

نتائج البحث

نستخلص مما سبق أن:

-التنظيم مفهوم معقد يصعب تحديده.

-ماكس فيبر اهتم بالعلاقات الرسمية وأهمل العلاقات غير الرسمية داخل التنظيم، وتميز أيضا بمغالاته في البيروقراطية، كما أنه لم يعط حرية للفاعل وللتغير داخل التنظيم ولعلاقة التنظيم مع محيطه.

-التحليل الاستراتيجي ينحو منحى مخالفا، وذلك بدراسته للسلوكات غير العقلانية ولمختلف معانيها ودلالاتها.

-مشيل كروزي وهيرار فريد بيرغ ميزا بين أربعة مصادر أساسية وكبرى للسلطة داخل أي تنظيم اجتماعي، تقابلها مجموعة من مناطق اللايقين التي يمكن للفاعلين الاجتماعيين داخل التنظيم السيطرة عليها.

-أصحاب التحليل الاستراتيجي اقترحوا ما يسمى بنسق الفعل الملموس لدراسة الفعل الجماعي المنظم، الذي هو تجسيد للتنظيمات الاجتماعية.

خاتمة

هكذا استطاعت سوسيولوجيا التنظيمات كفرع جديد داخل حقل السوسيولوجيا أن تنتج مفاهيم ونظريات جديدة، ذات قيمة مضافة، خاصة مع ظهور تنظيمات حديثة في مختلف مجالات ومناحي الحياة، نتيجة التقدم والتطور الذي عرفته الإنسانية بعد الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا.

وشكلت إسهامات مشيل كروزي وهيرارد فريدبرغ جوابا لبعض الهفوات التي تركتها النظريات السابقة في مجال التنظيمات، والتي لم تكن تعطي أهمية للفاعل وللعلاقات غير الرسمية دخل التنظيم ولحرية الفاعل... وبالتالي فإن التحليل الاستراتيجي كشف عن بعض المشاكل التي تعاني منها التنظيمات، ونبه إلى بعض المسائل المهمة داخل أي تنظيم لتكون فعاليته وإنتاجيته كبيرة.

قائمة المراجع:

1. الفيروزبادي مجد الدين محمد بن يعقوب(2008)، القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي وزكرياء جابر أحمد، دار الحديث القاهرة، مصر.
2. بودون ريمون، بريكور وفرانسوا(1986)، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى؛ الجزائر.
3. صديق يوسف(2017)، مدخل إلى سوسيولوجيا التنظيمات، مطبعة المعرف الجديدة، الرباط.
4. فزة جمال(2013)، (سوسيولوجيا التنظيمات: أسس واتجاهات، دار أبي رقراق، ط.1، الرباط.
5. أبو الفضل جلال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري(د.ت)، لسان العرب، المجلد الثاني عشر، دار صادر، بيروت.
6. أنتوني غدنر(2005)، علم الاجتماع، ترجمة وتقديم فايز الصياغ، مؤسسة ترجمان، المنظمة العربية للترجمة، ط.1، بيروت.
7. Pierre Ansart(1990), La sociologie contemporaine, 3.Ed, Seuil, Paris.
8. Raymond Aron(1967), Les étapes de la pensée sociologique, Edition Gallimard.
9. Boudon Raymond(1982), dictionnaire critique de la sociologie, P.U.F, Paris.
10. Michel Crozier(1977), Erhard Friedberg, L'acteur et le système, Ed Seuil.
11. Crozier Michel(1963), Le phénomène bureaucratique, Editions du Seuil.
12. Etzioni Amitai(1964), Modern Organizations, Englewod Cliffs, New Jersey, Printice-Hall.
13. Herreros Gilles, Au-delà de sociologie des organisations : Sciences sociales et intervention, collection sociologie économique, Ed ERES, France, 2008.
14. I.Reed Michael, The Sociology OfOrganizations: Themes, Perspectives and Prospects, N.Y:Harvester Wheatsheaf, 1992.
15. Milly Bruno, Le travail dans le secteur public, entre institutions, organisations et professions, Presses universitaires de Rennes, coll. «Didact sociologie», 2012.
16. Mintzberg Henri, Structure et dynamique des organisations, Ed d'Organisation, Paris, 1982.

17. Parsons Talcot, Structure and Process in Modern Societies, Glencoe 111: The Parsons Free Press,1960.
18. Rocher Guy, Introduction à la sociologie générale 2:L'organisation sociale, Edition HMH, Ltée, 1968.
19. Schein Edgar, Psychologie et Organisation, Ed Hommes et Techniques, Paris, 1971.
20. Weber Max, Economy and society, an outline of interpretive 1 sociology, Edited by Gunether Roth and Claus Wittich, translated by Ephraim Fischoff and other, The Regents of the university of California, 1978.
21. Znienki Florian, Social Organization and Institutions, in George Gurvitch, Twentieth Sociology Century, Philosofical Library Inc, New York, 1945.